حكايات تراثية

٣

دهاء ثعلب

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

حِكَايَةٌ هَادفَةٌ مِنْ حَكَايَا
العَمِّ أَبِيْ عَبَّاسٍ

أُصِيْبَتْ عَمَّتِيْ بِمَرضٍ شَدِيْدٍ أَقْعَدَهَا عِدَّةَ أَسَابِيْعَ في الفِرَاشِ ، وَكَانَ مِنَ المَفْرُوْض أَنْ نَكُوْنَ جَمِيْعاً إلى جِوَارِهَا.

obeikandl.com

وَهَذَا مَا كَانَ حَقّاً ، فَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ كُنَّا نَلْتَقي ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ ذَلِكَ إلا عَمِّيْ (أَنَسٌ) وَذَلِكَ بِسَبَبِ سَفَرِهِ خَارِجَ القُطْرِ.

وَبَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ أَيَّامٍ قَالَ الطَّبِيْبُ لِوَالِدِيْ: أَبْشِرْ يَا أَبَا نَوَّارٍ! فَأُخْتُكَ تَقْتَرِبُ مِنَ الشِّفَاءِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ، وَإِنْ شَاءَ اللهُ سَنَقُوْمُ بِنَقْلِهَا إِلىٰ البَيْتِ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، وَلٰكِنْ أَتَمَنَّى مِنْكُم المُحَافَظَةَ عَلَىٰ الهُدُوْءِ في غُرْفَتِهَا.

وسَـرَىٰ خَبَـرُ تَمَـاثُلِهَـا لِلشِّفَـاءِ سَـرِيْعـاً؛ حَيْـثُ عَـادَتِ البَسْمَـةُ إِلـىٰ الوُجُوْهِ. وَنَذَرَتْ عَمّتي (أُمُّ هَانِيْ) أَنْ تُقِيْمَ حَفْلَةً ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ تَمَاثُلِ عَمَّتي (أمِّ عَبيْر) للشِّفَاءِ ، وَسَتَدْعُو إِلَيْهَا غَالِبِيَّةَ الأَقْرِبَاءِ ، وَالجِيْرَانِ ، وَسَتُقَدِّمُ لَهُمْ مَا لَذَّ وطابَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ....

فَقُلْتُ لِلْحَاضِرِيْنَ: وَعَلَىٰ نِيَّةِ تَحْقيْقِ نَذْرِ عَمَّتّيْ نَقْرأ الفاتِحَةَ... وَبَعْدَ أَنْ قَرَأْنَا الفَاتِحَةَ رَاْحَ عَمِّي يَدْعُو

اللهَ تَعَالىٰ ، وَنَحْنُ نُرَدِّدُ جَمِيْعاً: آمِيْن! آمِيْن!

وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَبَعْدَ مُشَاهَدَةِ بَعْضِ البَرَامِجِ التِّلْفِزْيُونِيَّةِ الهَادِفَةِ قَالَ عَمِّي (أَبُو العَبَّاسِ): هَيَّا نَترُكْ عَمَّتَكُمْ تَأْخُذُ قِسْطَاً مِنَ الرَّاحَةِ وَنَنْطَلِقْ إِلَى الرَّدهة (الصَّالُوْنِ الخَارِجِيِّ) ، فَسَأَحْكِيْ لَكُمْ حِكَايَةً رَمْزِيَّةً عَنْ كَيْفِيَّةِ التَّخَلُّصِ مِنْ شَوَائِبِ هٰذِهِ الدُّنْيَا.

وَفَرِحْنَا جَمِيْعاً لِذٰلِكَ ، وَعَلَىٰ

جَنَـاحِ السُّـرْعَـةِ كُنَّـا نَجْلِـسُ عَلَـىٰ الكَرَاسِي فِي الرَّدْهَةِ، وَكلُّنَا عَلَىٰ اسْتِعْدَادٍ لِسَمَاعِ حِكَايَةِ عَمِّيْ... وَبَدَأَ عَمِّي حِكَايَتَهُ بِالْقَوْلِ: كَان يَا مَا كَان ، كَانَ في قَدِيْمِ الزَّمَانِ ثَعْلَبٌ ، وكان لِلثَّعْلَبِ صَدِيْقٌ هُوَ الغُرَابَ ، وَكَأنَ هَذَا الغُرَابُ يَعِيْشُ على شَجَرَةٍ بالقُرْبِ مِنْ صَدِيْقِهِ الثَّعْلَبِ ، وقَدِ ابتَنى الغُرَابُ لِنَفْسِهِ عُشّاً بَيْنَ مُشْتَبَـكِ الغُصُوْنِ ، يَأْوِيْ إليه فِي سَاعَةِ القَيْـلُوْلَةِ ، وَحِيْنَ يَجِنُّ اللَّيْلُ.

وَلِسُوء حَظِّ الغُرَابِ كَانَ بِجوَارِهِ ثُعْبَانٌ كَبِيْرٌ يَتَرَقَّب سَاعة مُغَادَرَةِ الغُـرَابِ العُشَّ ، فَيَنْقَـضُّ عَلىٰ فِـرَاخِ الغِرْبَانِ الصَّغِيْرَةِ ، فَيَأْكُلُها!

ومَرَّةً تِلْوَ أُخْرَى ، وَالغُرَابُ لا يَجدُ حِيْلَـةً للتَّخَلُّـصِ مِـنْ ذٰلِـكَ الثُّعْبَـانِ الغَدَّارِ.

فَقَرَّر أخِيراً أَنْ يَفْقَأَ عَيْنَ الثُّعْبانِ ، وذلـك حتَّـى لا يَعْـرِفُ طَـرِيْقَـهُ إِلَـى العُشِّ!

لٰكِنَّـهُ شَـاوَرَ بَعْـض الطُّيُـورِ ،

فَدَلَلْنَهُ علىٰ الثَّعْلَبِ المَاكِرِ. فَانْطَلَق إِلَيْـهِ وَعَـرَض عَلَيْـهِ مُشْكِلَتَـهُ مَـعَ الثُّعْبَانِ! وَأَخْبَرَهُ بِمَا يُفَكِّرُ أَنْ يَقُوْمَ بِهِ.

فَمَا كَانَ مِنَ الثَّعْلَبِ إِلا أَنْ قَالَ لِلْغُرَابِ: كَيْفَ تَجْرُؤُ علىٰ ارْتِكَابِ هَذَا العَمْـلِ مَـعَ الثُّعْبَـانِ؟ إِنَّـهُ لَـوْ سَمِـعَ حَفِيْفَ جَنَاحَيْك ، لأَمْسَك بِهِمَا قَبْلَ أَنْ تَلُوْذَ بِالفَرارِ ، وحِيْنَئِذٍ يُفْرِغُ فِيْكَ سُمُوْمَهُ!

فَقَالَ الغُرابُ: وَلَكِنْ هَلْ أَكْتَفِي

بِالغَضَبِ ، وَالحُزْنِ ، وَأَتْرُكَ الثُّعْبَانَ يَفْتَرِسُ صِغَارِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ؟ إِنَّ هَذَا لأَمْرٌ عُجَابٌ!

فَقَالَ الثَّعْلَبُ: لا! بَلْ تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَثْأَر مِنْهُ بِالخَدِيْعَةِ ، والمَكْرِ ، وتَصِلَ إِلىٰ مَا تُرِيْدُ دُوْنَ أَنْ يَنَالَكَ أَذَىً.

حِيْلَةٌ عَلَىٰ فَمِ الثَّعْلَبِ!!

قَالَ الغُرَابُ: وَمَاذَا أَصْنَع بِتِلْكَ المُشْكِلَةِ؟ وَهَلْ عِنْدَكَ حَلٌّ لَهَا؟ هَزَّ الثَّعْلبُ رَأْسَهُ ، وَرَاحَ يَشْرَحُ خُطَّتَهُ الذَّكِيَّةَ بِالقَوْلِ: حَلِّقْ غَيْرَ بَعِيْدٍ فَوْقَ

تِلْكَ الْقَرْيَة الآهِلَةِ بِالسُّكَّانِ ، حَتَّىٰ إِذَا مَا وَقَعَ نَاظِرَاكَ عَلىٰ إحدىٰ حُلِيِّ النِّساءِ ، فَبَادِرْ بِاخْتِطَافِهَا. ثُمَّ طِرْ عَلَىٰ مَهْلٍ حَتَّىٰ يَتَسنَّىٰ لأَهْلِ القَرْيَةِ أَنْ يُتَابِعُوْكَ أَمَلاً في إعَادَةِ الحُلِيِّ ، وَاسْتَدْرِجْهُمْ حَتَّى تَصِلَ إِلىٰ حِجْرِ الثُّعْبَانِ ، ثُمَّ أَلْقِ الحُلِيَّ عَلَيْهِ ، وَحِيْنَ يَتَدَافَعُوْنَ لالْتقاطَها ، سَيَجِدُوْنَ الثُّعْبَانَ ، وحِيْنَئِذٍ يُجْهِزُوْنَ عَلَيْهِ.

أُعْجِبَ الغُرَابُ بِالفِكْرَةِ ، وَقَالَ: حَقّاً إِنَّها حِيْلَةٌ ذَكِيَّةٌ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ إِلا أَنِ انْطَلَقَ مُسْرِعاً حَتَّى بَلَغَ القَرْيَةَ ،

وَحَلَّقَ فَوْقَها ، فَلَمَحَ فَتَاةً تَغْسِلُ وَجْهَهَا عَلَىٰ سَطْحِ بَيْتٍ، وبِسَبب خَوْفِهَا مِنْ أَنْ يُبَلِّلَ المَاءُ عِقْدَهَا ، فَقَدْ وَضَعَتْهُ بِالقُرْبِ مِنْهَا حَتَّىٰ تَفْرَغَ مِنْ أَمْرِهَا.

فَمَا كَان مِنَ الغُرابِ إلاّ أَنِ انْقَضَّ عَلَىٰ العِقْدِ ، فَأَمْسَكَهُ بِأَظَافِرِهِ ، ثُمَّ حَلَّقَ بِهِ في الفَضَاءِ ، وَمَا كَادَتِ الفَتَاةُ تَلْمَحُهُ حَتَّىٰ صَرَخَتْ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ القَرْيَةِ عَلَىٰ صُراخِهَا ، وَأَسْرَعُوا الخُطَىٰ وَرَاءَ الغُرَابِ؛ حَتَّىٰ

رَأَوْهُ يُلْقِي بالعِقْدِ في مَكَانٍ قَرِيْبٍ مِنَ الشَّجَرَةِ.

وَأَسْرَعَ أَهْلُ القَرْيَةِ حَتَّىٰ وَصَلُوا إِلَىٰ ذَاْكَ المَكَانِ ، وَهُنَاكَ وَجَدُوا العِقْدَ ، وبِجِوَارِهِ ثُعْبَانٌ كَبِيْرٌ ، فَانْهَالُوا عَلَيْهِ قَذْفاً بِالحِجَارَةِ حتَّى مَزَّقُوا جَسَدَهُ ، وَمَاتَ...!!

وَكَانَتْ حَفْلَةً رَائِعَةً

وَشَاءَ الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَكْتُبَ لِعَمَّتي (أُمِّ عَبِيْرٍ) الشِّفَاءَ العَاجِلَ ، فَأَرادَتْ عَمَّتي (أَمُّ هَانِي) أَنْ تُوفيَ

بِنَذْرِهَا ، فَدَعَتِ الأَقَارِبَ ، وَالجِيْرَانَ إِلىٰ تَنَاوُلِ وَجْبَةِ الغَدَاءِ ، وَذَلِكَ في بُسْتَانِ بَيْتِ (أمِّ عَبِيْرٍ). وَقَدْ كَانَ اجْتِمَاعاً مُبَارَكاً ، وَلِقَاءً مُميَّزاً ، حَيْثُ وَصَلَ عَمِّي (أنَسٌ) مِنَ السَّفَرِ ، وَلَعِبَ الأَوْلاَدُ مَعَ بَعْضِهِمْ بَعْضٍ ، وَأَكَلْنَا ، وشَرِبْنَا ، وفَرِحْنَا.

وَقُبَيْل أَنْ نُوَدِّعَ عَمَّتي (أُمَّ عَبِيْرٍ) وَيَنْطَلقَ كلٌّ مِنَّا إِلىٰ بَيْتِهِ ، طَلَبَتْ عَمَّتِيْ مِنْ أَخِي (إِسْمَاعِيْلَ) أَنْ يُرَتِّلَ بَعْضَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَنَا: وَمَا دَامَ الحَدِيْثُ عَنِ الثَّعَالِبِ ،

فَسَأَحْكِيْ لَكُمْ مَا جَرَىٰ مَعَ وَاحِدٍ مِنَ الثَّعَالِبِ ، فَقَدْ كَانَ يَتَرَبَّصُ ذَاتَ يَوْم فِي إِحْدَىٰ الغَابَاتِ ، وَبَينَمَا هُوَ يَمْرَحُ ، وَيَلْعَبُ إِذَا بِصَوْتٍ مُزْعِجٍ يَقْرَعُ أُذُنَيْهِ ، فَوَقَفَ بُرْهَةً يَتَأَمَّل فِيْمَا حَوْلَهُ مِنَ الأشْجَارِ ، فَوَقَعَ نَاظِرَاهُ عَلَىٰ طَبْلٍ كَبِيْرٍ مُعَلَّقٍ في شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَظَنَّ الثَّعْلَبُ أَنَّ في دَاخِل الطَّبْلِ شَيْئاً دَسِماً! فَأَسْرَعَ الخُطَىٰ نَحْوَهُ... ثُمَّ صَعِدَ الثَّعْلَبُ إِلَىٰ الشَّجَرَةِ ، وقامَ يَقْطِعِ الحَبْلِ الَّذي يَحْمِلُ الطَّبْلَ ، فَوَقَعَ الطَّبْلَ عَلَىٰ

الأَعْشَـــابِ ، فَتَقَـدَّمَ الثَّعْلَـبُ مِنْـهُ ، وَأَنْشَبَ فِيْهِ أَظَافِرَهُ ، وَمَزَّقَهُ إِرْباً إِرْباً.

ويَا لَلْخَيْبَةِ ، والحَسْرَةِ؛ حَيْثُ لَمْ يَجِدْ دَاخِلَ الطَّبْلِ أيَّ شيءٍ ، إنَّمَا كَانَ طَبْلاً فَارِغاً ، مِمَّا جَعَل الثَّعْلَبَ يَنْخَدِعُ فِيْهِ!!

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *